الباب الرابع

دلالة لفظ كتاب فى القرآن الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الرابع
دلالة لفظ كتاب فى القرآن العظيم

أبلغنا الله سبحانه وتعالى أنه قبل خلق الكون كان عرشه على الماء، وخلق كل شيء فى الوجود من عدم، وكل شيء أحصيناه كتابا. فكل شيء مخلوق فى الوجود فى كتاب الله وهو اللوح المحفوظ. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

فخلق السماوات والأرض فى ستة أيام وألقى فيها رواسى وقدر فيها أقواتها وأرزاقها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد بين لنا الله سبحانه وتعالى أنه خلق للأرض خليفته وهو الإنسان.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة :٢٩].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة :١٦٤].

وأخرج من الأرض مائها ومراعاها، وبث فيها من كل دابة وأنبت النباتات.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾[النبأ : ١٤-١٦].

وقد سخر لنا السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما وما تحت الثرى كما ذلل لنا من آكلات العشب أنعاماً فهم لها مالكون فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ويشربون.

ثم استوى سبحانه على العرش ما كان لاهيا وما مسه من لغوب.

ثم خلق الملائكة من نور.

وخلق الجان من مارج من نار.

وخلق آدم من ماء وطين لازب صلصال من حمأ مسنون ومن تراب وعناصر فقد خُلق آدم من مفردات الكون كله فهو ماء ونار ونور وصوت وتراب وطين وعناصر وخلافه.

وكل شيئ فى ملكوته مدون فى كتاب مبين حتى جفت الأقلام وطويت الصحف وما بقى هو قضاء الله وقدره حيث يسير خلقه بالنظام الذى وصفه سبحانه فى كتابه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. فهو الخلاق العليم.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[سبأ: ٢٢].

ولا شريك له فى ملكه من مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض أحد

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[آل عمران: ٥].

فلا يوجد فى الكون سلطة إلا سلطته ولا شريك له فى ملكه أحد لا صاحبة ولا ولد.

وبالنظر إلى الكون ومافيه من ذرات وعناصر ومركبات وكائنات وسماوات وأرضين نجدها جميعاً مكونة من الذرات وكل شيء فى الوجود خلق بقدر.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ١٩].

ولايعزب عنه من مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ: ٣].

وعندما نتدبر فى قول الله تعالى من مثقال ذرة وأصغر منها هو تركيب الذرة فتتكون الذرة من الكترونات موجودة فى مجالات مخلوقة من عدم وبكلمة من الله سبحانه وتعالى كن فتكون وكذلك خلق الله سبحانه وتعالى نواتها بكلمة منه والجميع

فى كتاب الله ولكى تجتمع هذه الالكترونات مع النواة الخاصة بها فى الكون فهو أيضاً كلمة من كلمات الله فى كتاب فتتكون الذرة. فتكون الذرة الواحدة لأى عنصر من العناصر عن كلمات الله المذكورة فى كتابه المبين. وتتحد هذه الذرات مع بعضها فى نظام بديع خلقه الله سبحانه وهو مدون أيضاً فى كتابه فتتحد هذه الذرات بكلمة أيضاً من الله فتكون الجزيئات وكاتحاد ذرتى أكسچين لتكون جزئ الأكسچين (أ٢) كل هذه بكلمات الله الموجودة فى كتابه ولذلك قال وقوله الحق ما يعزب عنه من مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك كما قال ولا أكبر وهى الجزيئات والعناصر حيث تتركب المركبات وتتكون الأجرام والصخور والشمس والقمر والسماوات والأرض والماء والنبات والأشجار والدواب و الأنعام والإنسان والجان وجميع المخلوقات كلها من ذرات وكلها بكلمات الله التامة الموجودة فى كتابه وهو اللوح المحفوظ فى كتاب مبين.

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس : ٨٢].

ولذلك نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر لنا آيتين كريمتين تأكد ما سبق أن ذكرناه أن كل شىء مخلوق من ذرات وكلها فى كتاب الله.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[الكهف : ١٠٩].

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[لقمان : ٢٧].

وكما ذكرت أن كلمة ذرة فى الوجود ليست كلمة واحدة ولكن كلمات عديدة منظومة بقدر فى كتاب الله سبحانه فإذا كان جزئ الماء وهو المكون من (أ٢) وهو كلمات الله المكونة له ويتكون هذا الجزئ من غاز ليس له طعم ولا رائحة ويشتعل وكذلك جزئ الهيدروچين وهو أيضاً من كلمات الله المكونة له وهو غاز أيضاً عديم اللون والرائحة وعندما يتحدا بأمر من الله وبكلمة منه يتكون هذا المركب المسمى الماء وهو من كلمات الله هذا المركب الذى جعل الله منه كل شىء حى.

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء: ١٠].

سبحانه فإذا كان كل جزئ ماء مكون من كلمات الله فبذلك يكون البحر كله مداداً لكلمات الله المكونة لهذه الجزيئات الماء حيث أنها كلها كلمات الله فأين باقى المخلوقات.

ويؤكد الآية التى تليها أن جميع خلايا الأشجار هى أيضاً كلمات الله فى كتاب والماء كلمات الله وبالتالى لم تنفد كلمات الله فأين باقى المخلوقات وهى مكونة من كلمات أخرى لله والكل مخلوق مذكور فى كتاب مبين.

وقد أبلغنا الله سبحانه وتعالى أيضاً أنه ليس الذرات فقط الموجودة أو المذكورة فى كتاب الله بل أيضاً كل شىء فى الوجود.

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩].

يبين لنا الله سبحانه وتعالى أن الغيب كله عنده فقط ويعلم ما فى البر والبحر فيعلم البر بما فيه من ذرات وعناصر ومركبات وصخور وأرض وجبال ونبات ودواب وأنعام وكائنات حية دقيقة ويعلم ما تبصرون وما لا تبصرون وكذلك ما فى البحر من كائنات بحرية من هائمات نباتية بروثوزوا وقشريات وأسماك وثديات وأسماك قرش وحوت وخلافه، وكذلك اللؤلؤ والمرجان مذكور مكثفا فى القرآن الكريم فالجميع من مخلوقات الله وكلها فى كتاب الله، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها فهى آية علمية لا يعقلها إلا العالمون سبحان الله فعندما تسقط ورقة من نبات على الأرض فهى غذاء ملايين من خلقه الموجودة فى الأرض فى سلسلة غذائية فى منتهى التعقيد فالديدان الأرضية تسحبها وتتغذى عليها وكذلك الفطريات المحللة للسيليولوز، وكذلك البكتريا والبرتوزوا التى تتغذى على البكتريا وهكذا فى تسلسل حتى تتحلل هذه

الأوراق إلى مكوناتها الأولية من ثانى أكسيد الكربون وماء وطاقة وكل شيء أحصاه الله فى كتابه حسب ما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[طه:٥٥].

وليس فقط سقوط أوراق الأشجار بل أيضاً عندما يدفن الإنسان أو تدفن الحيوانات الميتة أو أوراق الأشجار تتحلل بواسطة هذه الكائنات الحية الدقيقة فى التربة.

ولذلك يقسم الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴾[الحاقة:٣٨، ٣٩].

وهى الكائنات الحية الدقيقة وهى ما لا تبصرون حيث كان السلف الصالح يقولون منها الجن أو الملائكة. وكل شيء فى كتاب، وكذلك لا حبة فى ظلمات الأرض، والحبة هنا تتراوح حجمها من حبة الذرة إلى أحجام صغيرة جداً مثل بذرة الهالوك وهى فى باطن الأرض والأرض هنا جمع بين الماء واليابسة ولذلك عندما تسقط حبة فى الماء فإن مكانها القاع وهو الأرض ويمكن لهذه البذور أن تعيش لمدة ٢٠ سنة حية حتى تنبت وكل ذلك فى كتاب الله المبين. وتذكر الآية ولا رطب والرطب هو المكان الرطب الذى يحتوى على الماء. وقد قال الله سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حى. وبالتالى فإن جميع المخلوقات الدقيقة تعيش تحت هذه الظروف مدونة فى كتابه وكذلك اختفاء هذه الكائنات من الأماكن التى لا تحتوى على الماء وهذا يبين أن كل ما فى الكون كله فى هذه الآية فى كتاب مبين.

يبين لنا الله سبحانه وتعالى أن ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى كلها فى كتاب الله سبحانه وتعالى وجميع كائناته وتركيبها من ذرات وجزيئيات وعضيات وخلايا كلها فى كتاب مبين.

وقد أكد لنا الله سبحانه وتعالى أن كل دابة فى الأرض وكل كائن حى تدب فيه الحياة من البكتريا إلى الديناصورات وكذلك من الهائمات وهى الطحالب وحيدة

الخلية إلى أشجار الغابات الصنوبرية وجميع النباتات كلها أيضاً فى كتاب عمرها رزقها موتها وتحللها كله فى كتاب الله.

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[هود:٦].

لاحظ أيضاً فى الأرض تدل على سطح الأرض وباطنها وكذلك الكائنات المنتشرة فى الهواء بين السماء والأرض.

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾[طه:٦].

وبدراسة الكائنات الدقيقة المنتشرة فى الكون نجدها فى الجو حتى خمسة كيلومترات وكذلك إلى أبعد من سبعة كيلو مترات فى باطن الأرض وهى كائنات تتحمل جميع الظروف التى لا يتحملها أى من الكائنات الأخرى الأكبر فهى تتحمل الملوحة العالية كمياه البحار والمحيطات وبالتالى تحلل جميع الأحياء التى تموت فى هذه الأماكن وعندما تصل إلى الأرض فإنها تتحلل بواسطة هذه الكائنات وكذلك تتحمل الضغوط العالية وكذلك درجات الحرارة الشديدة الارتفاع والشديدة البرودة، وبالتالى فهى التى تحلل جميع الكائنات الميتة أينما وجدت وتحت جميع الظروف وكله فى كتاب مبين. والبكتريا وهى كائنات يصل حجمها من نصف إلى خمسة ميكرونات (الميكرون هو ١/ مليون من سم).

ثم كمل لنا الله سبحانه وتعالى باقى المخلوقات وهى ولاطائر يطير بجناحيه، وهى الطيور الداجنة والجارحة وكذلك الحشرات، وكما هو معلوم نجد أن الحشرات تعتبر من أكبر الكائنات الحية الموجودة فى الأرض من حيث الأعداد والتنوع كل ذلك رزقها ومستودعها فى كتاب فهو رازقها فالبعض يعتمد على غذائه على النبات والآخر على الحيوانات وبعض على فضلات هذه الكائنات والبعض يعتمد على تحليل بعض المركبات للحصول على غذائها والكل مدون فى كتاب مبين.

ليس هذا فحسب فهذه الكائنات جميعها تتبع فى تقسيمها إلى ممالك وشعوب وقبائل وأجناس وسلالات أمم أمثالنا ولذلك قال الله وقوله الحق:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنعام :٣٨] .

وتعتبر هذه الآية من الآيات العلمية فى القرآن العظيم والتى تؤكد أنه كلام الله سبحانه وتعالى وهذا يدل على أن هذه الكائنات جميعها تتبع علوم التقسيم. وهذا العلم لم يظهر إلا فى آواخر القرن التاسع عشر وقسمت الكائنات إلى مملكة نباتية وأخرى حيوانية ، وفى منتصف القرن العشرين أضيفت مملكة ثالثة وهى مملكة الأوليات التى تحوى الكائنات الحية الدقيقة وهى البكتريا.

كل خلق الله الموجود فى الوجود فى كتاب مبين.

الإنسان والكتاب :

بعد أن خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وقدر فيها أقواتها وأرزاقها وأرسى جبالها وأخرج ماءها ومرعاها وأنبت النبات وبث فيها من كل دابة من الفيروسات إلى الديناصورات كل فى كتاب مبين فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما كان لاهيا وما مسه من لغوب سبحانه.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾

[ق : ٣٨]

ثم خلق الملائكة من نور:

﴿ الْحَمْدُ للَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[فاطر :١] .

ثم خلق الجان من مارج من نار وهو النار ذات اللون الأزرق :

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[الرحمن :١٥] .

ثم خلق الإنسان من ماء وطين لازب وصلصال من حمأ مسنون وتراب :

فالإنسان خلق من مفردات الكون وكله فى كتاب الله كما سبق وأن ذكرنا.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[الفرقان :٥٤] .

كما ذكرنا سابقاً فإن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء حى من الماء والماء هنا العذب الفرات المسخر بين السماء والأرض فيكون سحابا فركا ما يخرج الورق والرعد والبرق والصواعق منه فيكون الإنسان من ماء وصوت وضوء ونار.

ثم خلق الإنسان من طين.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[الأنعام: ٢].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[المؤمنون: ١٢].

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[السجدة: ٧].

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[الرحمن: ١٤].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ﴾[الحجر: ٢٦].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ..﴾[الحج: ٥].

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة:٣٠]

وقد علمت الملائكة ذلك من كتاب الله وهو اللوح المحفوظ المدون فيه كل شيء فى الوجود.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣١، ٣٢].

وأمر الله سبحانه وتعالى ملائكته بالسجود لآدم سجود تحية فسجدوا إلا إبليس أبى.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[ص: ٧٦].

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[الأعراف: ٢٤، ٢٥].

فكل مكونات مخلوقاته من نور ونار وطين وتراب وعناصر كلها من خلق الله وهى فى كتاب مبين والكل مسبح بذاته .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[الإسراء:٤٤].

فجميع خلق الله مسبحة بذاتها.

فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق خلقاً إذا عبده يعبده باختيار لا بإجبار فعرض الله سبحانه وتعالى الأمانة، وهى العقل على السماوات والأرض والجبال.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[الأحزاب:٧٢].

وعندما كفر الشيطان وفسق عن أمر ربه وخروجه مع آدم من الجنة وهبوطهما إلى الأرض.

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة: ٣٨، ٣٩].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦].

وما كان الله سبحانه وتعالى معذباً حتى يبعث رسول.

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الأنعام: ٤٨].

﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء:١٥].

وأرسل الله سبحانه وتعالى رسله تترا.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾[المؤمنون :٤٤] .

إلا أن الإنسان ظلوماً كفورا ملأ الأرض ظلما وجورا وكفرا وشركاً وإثماً عظيماً حيث قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى عيسى ابن الله كبرت كلمة تخرج من أفواههم ما يقولون إلا بهتاناً عظيما .

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[سبأ : ٢٢] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾[آل عمران : ٥٠] .

﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾[الأعلى : ٧] .

﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[النمل : ٧٥] .

ويتحدى الله سبحانه وتعالى المكذبين من الثقلين أن كان هناك آلهة غير الله .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[الأحقاف : ٤] .

الإنسان وكتاب الله :

أ - خلقه :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[فاطر : ١١] .

يلاحظ هنا أن خلق الإنسان من تراب وهى التغذية بجانب خلقه من طين كخلقه الأول وتبين الأن أيضاً أطوار تكوينه وميلاده وموته وزواجه وما تحمله الأنثى من جنين ذكراً كان أم أنثى حياً كان أم ميتاً وإن كان يموت صغيراً أم سيعمر إلى أرذل العمر كل ذلك فى كتاب الله .

ب- النفس:

الجسد شيء والنفس شيء آخر فالجسد مادى أما النفس فهى أثيرية وهى المسئولة عن حركة الإنسان فى الكون شقائه أو سعادته شريراً أم طيباً مؤمناً أم كافراً.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[الشمس: ٧، ٨].

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾

[المؤمنون: ٦٢]

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾[الأحزاب: ٦].

جـ- السر والعلن:

وقد أوكل الله سبحانه وتعالى ملائكته فى كتابة كل ما يصدر من الثقلين من أفعال وأقوال فى حياتهما من ميلاده حتى موته، وذلك فى كتابه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[فاطر: ٣٨].

أما ما يجيش فى صدرك فهو فى علم الله فهو الله الموجود فى كل خلية من خلايا جسدك فى بؤبؤ العين وفى القلب ويعلم ما توسوس به نفسك. وان الله أقرب إليك من حبل الوريد

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٦-١٨].

بعلمه ونوره فالله سبحانه وتعالى يعلم الجهر وما يخفى.

﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾[الأعلى: ٧].

هى آية علمية على أن هناك بصمة للصوت كما أن هناك بصمة لأنامل اليد سبحان الله.

كما يعلمنا الله أيضاً حتى التناجى بين فردين أو أكثر يعلمه الله سبحانه وتعالى وتكتبه الملائكة لأن الله سبحانه وتعالى أنهى عن التناجى بين الناس وهم فى مجاميع.

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾

[الزخرف: ٨٠]

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

[الانفطار: ١٠-١٢]

لذلك فكر جيدا فى كل كلمة تقولها وفى كل عمل تعمله فأنت محاسب عليه خيراً كان أم شراً كما قال حبيبنا المصطفى لابن مسعود «وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[يونس: ٦١].

فأنت محاسب على كل ذرة عمل فى حياتك وكل شىء فى السماء والأرض مكتوب فى كتاب الله.

ويعلمنا الله سبحانه وتعالى أنه يجب على الإنسان أن يكتب كل شىء فى حياته صغيراً كان أم كبيراً ولانعتمد على ذاكرتنا حيث جبل الإنسان على النسيان وهو رحمة من الله ونعمة أنعم الله علينا بها، كما علمنا أن كل علم يقذف فى قلوبنا فهو من عند الله يجب أن يدون فى كتاب حتى تتداول هذه العلوم وتتراكم المعلومات ويستفيد منها الخلائق فى عمارة الكون ألسنا خلفاء الله فى الأرض؟، لذلك كان أول آية نزلت فى القرآن هى «اقـــرأ» وكل من لا يعرف القراءة والكتابة من البشر فهو آثم قلبه، كما أمرنا الرسول ﷺ بطلب العلم حتى ولو بعد المشيب حتى أنه ﷺ قال« اطلبوا العلم ولو فى الصين».

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى فى قرآنه العظيم أن نكتب كل شىء بين الناس من دين أو وصية أو خلافه واكتبوه ولو كان صغيراً وذلك فى أكبر آية فى القرآن الكريم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٨٢].

د - الرزق:

يعلمنا الله سبحانه وتعالى على أن الرزق من عنده هو فى كتاب فأرض بما قسم الله لك لأن الله سبحانه وتعالى عليم بك وبنفسك ومن المال ما هو هلاك للناس مثل فتنة المال لقارون ومن المال ما هو رحمة للناس عندما ينفق فى سبيل الله، وهو أعلم بالناس أجمعين.. كما أننا مستخلفين فى هذا المال، فالمال ليس ملكك ولكن مال الله تعالى.

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[الحديد: ٢٢-٢٤].

فلا تفرح إن جاءك المال أو الرزق الواسع ولاتحزن ويضيق صدرك إن ضيق الله عليك المال أو الرزق فكل شىء مدون فى كتاب الله وهو عليم بنا.

كما أن المصائب التى يتعرض لها الإنسان وأسرته من الكوارث من فيضانات وحرائق وأعاصير . . كلها فى كتاب الله يصيب بها من يشاء من خلقه .

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[الذاريات :٢٢] .

هـ- العلم :

خص الله سبحانه وتعالى خليفته فى الأرض بالعلم دون غيره من المخلوقات حيث علم آدم الأسماء كلها كما أعطاه العديد من صفاته ليعمر الكون .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[البقرة :٣١، ٣٢] .

ليس هذا فحسب بل أوحى الله سبحانه وتعالى إلى رسوله نوح ليصنع الفلك .

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾

[هود :٣٧]

فكل علم فهو من عند الله سبحانه يعطى علمه من يشاء من عباده لافرق بين مؤمن وكافر فالعلم كالرزق يعطيه لمن يجتهد ويطلبه حثيثاً ولايعطه لجاهل أو كسول، والعلم الموجود فى الوجود كله من عند الله وهو فى الكتاب المحفوظ ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[الأنعام : ٣٨] .

وهناك قصة تروى عن الإمام محمد عبده عندما سأل فى فرنسا أنكم تقولون :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ فأين صناعة الخبز فى القرآن؟

فقال حسب علمه : اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . .

ولكنى أنا أقول لهم . . نعم إن صناعة الخبز وجميع الصناعات من سيارات وصواريخ وطعام وخلافه موجود فى كتاب الله وهو اللوح المحفوظ فلا يعزب عنه من مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض إلا فى كتاب .

ليس هذا فحسب بل حتى استئناس الإنسان للطيور الجارحة والحيوانات وتعليمها الصيد فهو أيضاً من علم الله.

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[المائدة: ٤].

فكل علم من الله سبحانه، ومن قال أنى أوتيت هذا العلم من عندى فقد كفر ومثلنا فى هذا قارون حين خسف الله به الأرض عندما قال ذلك.

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[القصص: ٧٨].

كما أن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[فصلت: ٥٣].

نعم يا الله علمتنا وأظهرت لنا من الآيات ما يعجز الإنسان حتى أن يعرف خباياها وما أظهرته لنا ما هو إلا وحى من عندك ومهما أوتى الإنسان من علم فهو جاهل جهول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.

وكما قال سيدنا الخضر لسيدنا موسى عندما قال موسى أنا أعلم العالمين وعندما كانا وقوفاً على سطح السفينة جاء عصفور وأخذ بمنقاره قطرة ماء أمامهما فقال له الخضر: إن مثل علمى وعلمك لعلم الله مثل ما أخذ هذا العصفور من البحر سبحانك: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[الكهف: ١٠٩].

فعندما يقول الإنسان انه اخترع فقد كذب فهو اكتشف ما هو موجود فى الوجود من علم الله وقد قذف الله هذا العلم وحيا فى قلبه حتى ما يقال عنها الآن الهندسة الوراثية كلها من عند الله وبعلمه.

و - المـــوت:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[آل عمران : ١٤٥].

كل شيء فى كتاب فالحياة وما فيها من رزق وصحة وعافية وأزواج وأولاد.. كلها فى كتاب الله وأيضاً الموت وانتهاء الحياة فى كتاب الله فلم يخلق الله الناس عبثا وكل شيء فى الوجود هالك إلا وجهه سبحانه.

فجميع الكائنات إنسان أو دواب أو نبات الكل يتبع كلام الله ونظامه والكل فى كتاب. والكل يتبع نظام منحنى النمو.. فالإنسان يبدأ طفلاً.. فشاباً يافعاً.. ثم رجلاً.. ثم كهلاً.. ثم شيخاً.. حتى يهن العظم ويشتعل الرأس شيبا ثم الموت.. جميع مخلوقاته تتبع هذا النظام وليس الكائنات الحية فقط بل والأجرام السماوية وكذلك الحضارات والأقوام.. فأين الحضارة المصرية القديمة؟.. أين حضارات بابل واليونان والرومان والهند والصين والعرب.. كلها حضارات وأقوام حق عليها الموت فماتت.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٦، ١٧]

فلما كان لكل فرد أجل محدد لموته كانت أيضاً القرى ومجاميع البشرية لها أجلها وكل فى كتاب كموت القرى والمدن فى حالات الفيضانات والحرائق والزلازل والحروب والأعاصير فتدمر بالكامل ليس الإنسان فقط بل جميع الكائنات ولكل أجل كتاب.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد:٢٣].

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[ق:٤].

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾[الحجر:٤].

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾[الإسراء :٥٨] .

وإذا جاء الأجل كما هو موجود فى الكتاب لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون تنزل ملائكة الله المسئولة عن قبض الأرواح فى الوقت والمكان المحدد فى كتابه .

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[السجدة :١١] .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[الأنبياء :٣٥] .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[العنكبوت :٥٧] .

كما لكل أجل كتاب أيضاً مكان الموت فى كتاب .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[النساء :٧٨] .

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[ق :١٩] .

كتب الله المنزلة :

عندما قبل آدم الأمانة وعصى آدم ربه وهبط من الجنة هو وزوجته والشيطان والملائكة الكرام الكتبة الحافظين فكان أول نبى ورسول للبشرية لذلك نجدأن المحادثة بين هابيل وقابيل وهما ولدا آدم كله إيمان بالله أن هناك بعث وأن هناك حساب .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[آل عمران : ٣٣]

قال هابيل لقابيل عندما أراد قابيل قتله :

﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٨ ، ٢٩] .

وكان سيدنا إدريس أول من خط بالقلم وأول من لبس المخيط وهو جد سيدنا نوح عليه السلام أول كتاب ترك إلى الأرض للبشرية كانت صحف إبراهيم

﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[الأعلى :١٨، ١٩].

وهى بضع صحائف وكانت كلها عبر مواعظ.

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾[٣٦، ٣٧].

صحف موسى غير التوراة، وقد ورد أنه أعطى عشر صحف وكانت كلها عبر، قال أبو ذر : سألت رسول الله ﷺ عن صحف موسى ما كانت «قال كانت عبر كلها»

عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك!

عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها!

عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب!

عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل!!

التـــوراة:

أول كتاب نزل من السماء شامل فيه نور وهدى كانت التوراة ونزلت على سيدنا موسى، وكانت فى ألواح.

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[الأعراف: ١٤٥].

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٤].

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[المائدة: ٤٤].

والكتب التى تنزل على الأنبياء والرسول تنزل بلغة الأقوام التى نزلت لهم، ولما كان سيدنا موسى قد تربى فى مصر وإن بنى إسرائيل سكنوا مصر مئات السنين من سيدنا يوسف حتى سيدنا موسى وبالتالى كانت لغتهم المصرية القديمة وبالتالى فكانت الكتابة بالهيروغريفية، وعندما رفعت التوراة وحطم هيكل سليمان بواسطة بختنصر ومر عزير عليها وقال أنا يحيى هذه البلدة بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه بعد هذه المدة وأحيا الله سبحانه وتعالى عزير فأملى عليهم التوراة فكتبها اليهود باللغة الحديثة لهم وهى العبرية وقد حرفوا فى التوراة، والله أعلم.

الزبـــور:

بعد موت سيدنا موسى وهارون قتل داود جالوت وعندما كبر أعطاه الله النبوة والحكم وصنعة لبوس فكان عليه السلام حداد يصنع الدروع.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء:١٦٣، ١٦٤].

قال القرطبى : الزبور كان مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هى حكم ومواعظ.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[الإسراء:٥٥].

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران:٨٤]

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾[الشعراء:١٩٦].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥]

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾[القمر:٥٢، ٥٣].

كل ما تفعله الأمم مذكور فى الكتب السماوية المنزلة كما أن كل صغيرة وكبيرة يفعلها الإنسان أو أمته فهو فى كتاب مسطور.

الإنجيل:

هو الكتاب الثانى بعد التوراة والذى نزل على سيدنا عيسى عليه السلام ونظرا لرفع الألواح بما فيها من نصوص التوراة وكذلك مواصلة اليهود فى التلاعب فى نصوص التوراة وتأويلها حسب أهوائهم ولذلك نرى فى القرآن العظيم أنه أنزل على سيدنا عيسى التوراة مرة أخرى نقية وهو ما يقال لها العهد القديم، وأنزل عليه أيضا الأنجيل.

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾[آل عمران :٤٨].

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة :٤٦].

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[الصف :٦].

وهنا يجب أن ننوه أنه لم يكتب الإنجيل فى عهد سيدنا عيسى عليه السلام إنما كتبها بطرس الرسول بعد أن رفع الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى عليه السلام بثلثمائة عام فالأنجيل الذى بين يدى المسيحيين الآن ليس هو الأنجيل المنزل من السماء وكذلك التوراة أو العهد القديم كما يقولون.

القرآن العظيم:

القرآن العظيم هو آية الله فى الأرض بين البشر نوراً فى قلوب المسلمين والمؤمنين ومرسل رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً هدى ونور من رب رءوف رحيم.

وكما نزلت الكتب السماوية كما ذكرنا من قبل على بعض الأنبياء والرسل وهم بشراً وليسوا ملائكة ولهم الذرية والحياة البشرية، ولذلك نزل هذا الكتاب العظيم

على أفضل خلق الله أجمعين المرسل رحمة للعالمين وهو سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى فى القرآن العظيم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾[الأحزاب :٤٥، ٤٦].

ويقول له ربه :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[الرعد :٣٨].

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[الرعد :٣٩].

وقد وضح منزلة القرآن عند الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الزخرف :٤].

وقد نزل به الروح الأمين إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ من مكانه المكنون فملأ الكون نوراً. . ونزل الروح الأمين بشمس القرآن على قلب أفضل خلق الله أجمعين فشع نور القرآن من قلبه إلى قلوب أصحابه فتناوله إلى يوم الدين . . فالقرآن فى الصدور - أناجيلهم فى صدورهم - وهى صفات المسلمين فى التوراة.

ومن صفات القرآن أيضاً أنه قرآن مجيد، كريم، حكيم، فى اللوح المحفوظ.

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[البروج :٢١، ٢٢].

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾[الواقعة :٧٧، ٧٨].

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾[الواقعة :٧٥-٧٨].

﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾[الطور :١-٣].

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل :١٠٢].

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[الدخان :٣].

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[القدر :١] .

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[فصلت :٣] .

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[هود :١] .

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ..... ﴾[آل عمران :٣] .

﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾[الواقعة :٧٩] .

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف :٥٢] .

﴿ الـمـ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة :١، ٢] .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر :٢] .

ومن المعروف لدى الناس كافة أن هذا الكتاب لم يغير فيه حرف واحد منذ أن أنزل على الرسول الكريم ﷺ وقد نزل فى آيات وليس فى سور وقد نزلت سور قليلة بكاملها وذلك خلال ثلاثة وعشرون عاماً وهى مدة البعثة المحمدية ثم جاء سيدنا جبريل عليه السلام وترتب بهذه الصورة التى نشاهدها وفى ترتيبها فاتحة الكتاب ثم البقرة . . حتى المعوذتين، وهذا الترتيب من عند الله سبحانه وليس وضع بشر وهو مخالف الترتيب النزول فسورة البقرة مثلاً هى أول سورة نزلت فى المدينة المنورة وترتيبها (٨٧) بينما سورة العلق وهى مكية وترتيب نزولها رقم (١) بينما سورة الفاتحة فترتيب نزولها رقم (٥) بينما هى فى المصحف رقم(١) كما جاءت فى المصحف العثمانى. وكان كبير كتاب الوحى زيد بن ثابت يقول كان الرسول ﷺ «ضعوا هذه الآية أو الآيات بين آية كذا وآية كذا من سورة كذا » حتى نزل الوحى الأمين وسمع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام القرآن على هذه الصورة ثلاثة مرات قبل أن يقبض إلى الرفيق الأعلى فعدد كلمات القرآن الكريم سبعة وسبعون ألف كلمة منظومة فى ستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون آية موزعة فى ثلاثين جزءاً أو ستين حزباً ومائة وعشرون ربعاً بالإضافة إلى سورة الفاتحة.

علاقة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالكتب السماوية الأخرى:

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾[آل عمران :٣، ٤].

وهنا بين لنا الله سبحانه وتعالى أن هذه الكتب الثلاثة تسمى أيضاً الفرقان حيث إنها تفرق بين الوحدانية والشرك بالله بين العدل والظلم بين الإيمان والكفر.

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾[المائدة :٤٣].

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ..... ﴾[الأعراف :١٥٧].

﴿ ..... مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[الصف :٦].

الفرق بين القرآن والتوراة:

إن كلا الكتابين من عند الله سبحانه وتعالى وصفاتهما واحدة فهما نور وهدى إلا أن نور التوراة كانت فى الألواح لأن التوراة نزلت فى الألواح على سيدنا موسى وقد رفعت الألواح واختفى نور التوراة الحقيقى من الدنيا. أما القرآن العظيم نزل نوره مباشرة فى قلب الرسول ﷺ وشع نور القرآن من قلبه إلى قلوب أصحابه فتتبادل هذا النور إلى يوم الدين حيث قال سبحانه وتعالى وقوله الحق:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[الأحزاب :٤٥، ٤٦].

الساعة فى كتاب الله:

كل شىء هالك إلا وجهه.. والكل فى البرزخ إلى يوم الساعة يوم النشور.. ويجزم الملحدون والكافرون أنه لايوجد يوم حساب ولا يوم بعث وما هى إلا حياتهم الدنيا ومايهلكهم إلا الدهر.

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾[الجاثية :٢٤] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[الجاثية :٣٢] .

ويرد الله عليهم فى هيئة القسم أن الساعة آتية :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[سبأ :٣] .

ثم يسأل أهل الكتاب والمنافقون والكافرون عن ميعاد الساعة :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف :١٨٧] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾[النازعات :٤٢ -٤٤] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[لقمان :٣٤] .

سبحان الله لايظلم ربك أحداً فمن مات كافراً فى القرون الأولى يتساوى مع من مات قبل قيام الساعة بأيام وبذلك يتساوا فى عذاب القبر حيث كان يراودنى هذا السؤال هل يتساوى الناس فى عذاب القبر أن يعذب كافر أربعة آلاف سنة يعرض على النار فى غدواها ورواحها وآخر مات قبل يوم البعث وكان رد ربى شافياً ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾[النازعات :٤٤] صدق الله العظيم .

أسماء يوم الساعة:

يوم الدين	يوم التلاق	الآخرة	القارعة
يوم القيامة	يوم الجمع	الساعة	الصاخة
يوم الحسرة	يوم الوعيد	الميعاد	الغاشية
يوم البعث	يوم التغابن	الواقعة	الطامة الكبرى
يوم الفصل		الحاقة	

استيلام الكتب يوم القيامة:

تبين لنا مما سبق أننا لن نخلق سدى ولما كنا حملة الأمانة فكان لزاماً علينا أن نبعث يوم الحساب هل أدينا الأمانة أم لم نؤدها وفرطنا فيها ، وبالتالى كان التسجيل كل شىء فى حياتك فى كتابك حتى يكون حجة عليك عند الحساب، هذا الكتاب ليس للأفراد فقط ولكن أيضاً كتاب القرى والأقوام والمجتمعات فالإنسان لا يعيش منفرداً منعزلا عن العالم، والدين هو العلاقة بين الإنسان وربه وما حوله من ناس ومال وزرع ودواب فهل كان الفرد صالحاً أم فاسقاً وما حال قريته هل هى صالحة أم كانت تعمل الخبائث كقوم لوط أو لصوص كقوم مدين أم جبارين كقوم عاد وثمود وكأقوام التى نعايشها الآن فى القرن العشرين مثل أمريكا والصهيونية العالمية وما تقترفه من أعمال ولذلك يوجد أيضاً كتاب لكل أمة كأمة الإسلام وأمة اليهود والأمم المختلفة، وما يظلم ربك أحداً.

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾[النبأ:٢٩].

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٤].

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[طه: ١٠٢].

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾[يس: ٥١].

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[يس: ٥٢-٥٤].

ووضع الكتاب وجئ بالشهداء:

﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

[الزمر: ٦٩، ٧٠]

ووضع الميزان.

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[الأنبياء: ٤٧].

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[الأعراف: ٨، ٩].

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[الزلزلة: ٧، ٨]

﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾

[الصافات: ٢٠، ٢١]

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ﴾

[طه: ١٠٢-١٠٤]

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[الروم: ٥٦].

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾

[يس: ٥٢]

العرض على الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾[الكهف: ٤٨].

فتنشر الصحف:

﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[التكوير: ١٠].

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾

[الانشقاق: ٧-١١]

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء: ١٣، ١٤].

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[آل عمران: ٢٥].

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[آل عمران: ٣٠].

﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾

[المؤمنون: ٦٢]

جدال المشركين أمام الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾[ق: ٢١].

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[النحل: ١١١].

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[المجادلة: ١٨].

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[الأنعام: ٢٣، ٢٤].

حساب الأمم:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾

[الكهف: ٤٩]

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الجاثية: ٢٨، ٢٩].

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩].

﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الجاثية: ٢٩].

شهادة الأعضاء:

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[يس: ٦٥].

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النور: ٢٤].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[فصلت: ٢٠-٢٢].

النتيجة:

أ- الأبرار:

﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾[المطففين: ١٨-٢٦].

ب- الفجار:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾[المطففين: ٧-٩].

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾

[المطففين: ١٥، ١٦]

obeikandl.com